وزارة التعليم العالي والبحث والعلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية

النظريـة التوليديـة التحويليـة وملامـحهـا في كتــاب (المـقـتـضــب) للـمـبرِّد (ت285هـ)

رسالةٌ تقدَّمتْ بها

بشـائـر علي عبـد عبـاس

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة ديالى
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشـراف الأستاذ المساعد الدكتور
نصيف جاسم محمد الخفاجي

شـوّال
1433 هـ

آب
2012 م

المبحث الأول
ملامح السليقة في المقتضب

ذكرنا أنّ المدرسة التوليدية قد اختلفت عن غيرها من مدارس علم اللغة الحديث؛ لما جاءت به من مبادئ لم تكن سائدة عند تلك المدارس التي سبقتها ، ولا سيّما المدرسة البنيوية ، التي كانت تُعنى بوصف اللغة من دون النظر فيما تجتمع عليه اللغات ، وإنّ هدفها – المدرسة التوليدية التحويلية – الأساس هو البحث عن التفسير الذي يكمن في الناحية العقلية الذهنية لدى الإنسان ، والذي نتجتْ عنه اللغة[1].

إذ إنَّ اللغةَ الإنسانية تقوم على " تنظيمٍ منفتح وغير مغلق من العناصر ، تتجلى فيه السمة الإبداعية عِبْرَ مقدرة المتكلم على إنتاج وتفهُّم عدد غير متناهٍ من الجمل لم يسبقْ له سماعها قبلاً ، تختص هذه المقدرة بالإنسان وبالذات من حيث هو إنسان ؛ ولذا لا نجدها عند أيّ كائنٍ آخر "[2] ، فالإنسان ليس آلةً ، وهو يختلف عن الحيوان بالتفكير والذكاء ، وقدرة الطفل على نطق جملٍ لم ينطق بها من قبلُ ، ويستطيع فهمها، خيرُ دليلٍ على قدرة الإنسان اللغوية ، وهذا ما جاء به تشومسكي[3] ، الذي يُسمّي هذه القدرة بـ (المعرفة اللغوية) التي يرى أنّ لها علاقةً بالقواعد الصرفية والنحوية ، وتقوم بربط المفردات بعضها ببعض في الجملة ، وتعدّ أهمّ المقومات لهذه القدرة ، وإنّ على الفرد – فضلاً عن تلك القدرة – أن يُلِمَّ بمجموعة أخرى من القواعد أطلق عليها (القواعد التحويليةTransformational Rules)[4] .

---

(1) ينظر : جوانب من نظرية النحو (مقدمة المترجم) : 6 .

(2) الألسنية (النظرية الألسنية) : 29 ، وينظر : النظرية التوليدية التحويلية في الدراسات العربية ، كريم عبيد عليوي ، رسالة ماجستير : 10 .

(3) ينظر : النحو العربي والدرس الحديث : 112 – 113 .

(4) ينظر : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : 115 .

* **القواعد التحويلية** : هي القواعد التي تعتمد في المقام الأول على تطبيق قواعد تركيب أركان الجملة ، ومثال ذلك : تحويل الجملة المبنية للمعلوم إلى جملة مبنية للمجهول في العربية بحذف الفاعل وتغيّر صيغة الفعل [1].

ويرى تشومسكي أنّ الطفل السّوي يكتسب معرفته باللغة من دون تعرضه لتمارين متخصصة ، فهو يستطيع في سنٍّ معينةٍ (السنة أو السنتين) أن يبدأ بنطق كلمات منفردة ، ثمّ يُركّب جملاً في السنتين ، وما بعدها يمكنه أن يبني – تقريبًا – لغته بمجملها ، وعملُ الطفل هذا – في مراحل اكتساب اللغة – عملٌ ذاتيٌ خلاّق ، فحين يكتسب اللغة ،ويستعملها لا يقف عند ذلك فحسْب ، بل يتعداه إلى اكتشاف محتوى ذلك الكلام ، ومعرفته بالتواصل اللغوي كما يتبيّن له أثر اللغة وعملها في المجتمع ، ثمّ يسلّط جهده لمعرفة وتمييز السليم من غير السليم من تلك الجمل ، بعد ذلك يتعلّم مهارة الكتابة والقراءة عن طريق مدرسته ، وليس لِيتعلَّم كيف يُكوّن جُمَلاً من لغته[2] .

وردَّ تشومسكي على السلوكيين الذين كانوا ينادون بأنّ الطفل يولد وذهنه صفحة بيضاء ، وبتعلُّمِهِ اللغة ينقش عليها تلك النماذج اللغوية التي يتعلَّمُها ، ويرى أنّ الطفلَ يولد ولديه قدرة فطرية كاملة على تعلّم أيّ لغة في العالم[3] .

ويرى تشومسكي أنّ الطفل الذي يتعلّم لغةً ما يكون قد " طوَّر تمثيلاً داخليًا لنظام القوانين التي تقرر كيف تصاغ الجمل وكيف تُستعمل وتُفهم ... إنّ الطفلَ طوَّر

---

(1) ينظر: معجم اللسانيات الحديثة : 143.

(2) ينظر : النحو العربي والدرس الحديث : 112 – 113 .

(3) ينظر : الألسنية (النظرية الألسنية) : 48 – 49 ، وفي نحو اللغة وتراكيبها : 55 ، وجذور النظرية التوليدية التحويلية في كتاب سيبويه : 34 .

(4) ينظر : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : 119 .

ومثّل داخليًا قواعد توليدية ... وقد فعل الطفل ذلك استنادًا إلى ملاحظة ما يمكن أن نطلق عليه المادة اللغوية الأولية "[1] .

وبناءً على ذلك فقد " تدخل ملكة اللغة في كلّ جانب من جوانب حياة الإنسان ، وفكره ، وتفاعله "[2] ، فدراسة اكتساب اللغة يُبيّن أنّ الطفل يعرف أكثر مما تزوَّدَهُ منذ المراحل المبكرة من حياته ، فهذا شيءٌ يحدث للطفل ، وليس شيئًا يقوم به الطفل[3] .

ويرى ابن خلدون (ت 808 هـ) أنّ اللغة مكتسبة، وهي مرتبطة بالمقدرة الإنسانية الفطرية[4] ، ويرى أنّ عملية الاكتساب تحصل بالممارسة والتكرار ، فيقول : " وإنّما تحصل هذه الملكة بالممارسة ، والاعتياد والتكرار بكلام العرب "[5] ، "ثمّ إنّ النظرية اللغوية " يجب أن تنصرف إلى مسألة اكتساب اللغة وكيف يبني الطفل هذا النظام العقلي في ذهنه معتمدًا على المادة اللغوية التي يتلقاها ممن يعيشون حوله ، ثمّ كيف يختار نظامًا واحدًا فقط من الأنظمة الممكنة ، أي بعبارة أخرى : ماهي السمات العامة للاستعداد اللغوي الوراثي ، ثم تجعل تعلّم اللغة ممكنًا خلال الوقت القصير الذي يأخذه ذلك التعلّم "[6] .

وقد رفض تشومسكي الفكرة السلوكية التي تزعم أنّ " اكتساب الطفل لِلُغة والديه ناتجٌ عن التقليد ، إذ لو كان هذا صحيحًا ، لوجب ألاَّ يكتسبَ سوى الأشياء التي يسمعها ، وهذا ضربٌ من الرأي غير صحيح "[7] ، فتعلّم اللغة لا يتمّ عن طريق

---

(5) جوانب من نظرية النحو : 48 ، وينظر : النحو التوليدي والتحويلي وملامحه في مغني اللبيب : 37 .

(2) اللغة والعقل اللغة والطبيعة ، تشومسكي ، ترجمة د. رمضان مهلهل سدخان : 18 .

(3) ينظر : المصدر نفسه : 24 .

(4) ينظر : قضايا ألسنية تطبيقية ، د. ميشال زكريا : 109 .

(5) مقدمة ابن خلدون : 1087 .

(6) جوانب من نظرية النحو : 7 .

(7) في اللسانيات ونحو النص : 37 .

المثير والاستجابة التي هي فرعٌ من فروع علم النفس الذي يُعنى بدراسة المعرفة الإنسانية واكتسابها ، وإنّما تولد مع المرء[1] .

وتحتل نظرية اكتساب اللغة " مكانًا بارزًا في اهتمامات تشومسكي ؛ لارتباطها بالمبادئ المجردة التي تتحكم ببنية اللغة ، وكثيرًا ما يتساءل في مؤلفاته عن طبيعة الاكتساب هذه وعن إمكانية وضع نظرية تمكن تسميتها بنظرية الاكتساب "[2] .

ولذلك فإنّ الطفل يكتسب لغته بصورة طبيعية ، لغة البيئة التي يعيش فيها ، ويكتسب أيَّ لغةٍ إنسانية من دون أن يميّز المظاهر اللغوية الناقصة التي يأخذها من البيئة ؛ لأنّ الطفل يمتلك الأشكال المشتركة بين اللغات الإنسانية عن طريق كفايته الذاتية الفطرية[3] .

والذي يصل بالطفل إلى اكتساب لغته هي بنية معطاة بصورة مسبقة إلى الطفل، وهذا ما يجعل اكتسابه ليس تدريجيًا – كما يزعم السلوكيون – من خلال لا شيء ، أو من خلال دماغٍ فارغٍ[4] .

فالسليقة عند تشومسكي مخصوصة بـ " المتكلّم والسامع Speaker-hearer المثاليين المنتمين إلى جماعة بشرية ذات تماثل كلامي تام ، والعارف للغة تلك الجماعة معرفة تامّة "[5] .

ويرى د. تمّام حسّان أنّ السليقة هي : " اختزان المعاني الوظيفية وما يكون بينها من علاقات وما يدلّ عليها من قرائن ، وهي تبقى خارج الوعي يحسّ صاحبُها بها عند مخالفتها ، ولكنّه لا يحصيها "[6] .

يظهر أنّ موضوع الدرس اللغوي ومادته هو ابن اللغة نفسُهُ ؛ لأنّه يُزوِّدُنا بما يمتلكه من سليقة عن حقيقة هذه السليقة ، عن طريق الأداء ، مع شرط المثالية التي

---

(1) ينظر : مقدمة في نظرية القواعد التوليدية ، د. مرتضى جواد باقر : 32 – 33 .

(2) الألسنية (النظرية الألسنية) : 65 .

(3) ينظر : المصدر نفسه : 68 – 69 .

(4) ينظر : اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة : 138 .

(5) جوانب من نظرية النحو : 27 .

(6) مقالات في اللغة والأدب ، د. تمام حسان : 219/2 .

يتمتع بها ، وكون فصاحته أصيلة[1] . ومن دون شرط الفصاحة والمثالية عند المتكلّم لا نستطيع القول : إنّ الأداء هو الانعكاس المباشر لقابليته[2] .

نستطيع القول : إنّ تشومسكي وجّه جُلَّ عنايته إلى ربط اللغة بالجانب العقلي ، وإعطاء النحو مجال تركيبي مستمدّ من القواعد العقلية ذات الصحة المثالية[3] .

ملامح السليقة في المقتضب

إنّ السليقة عند ابن اللغة هي عفوية في تأليف الكلام ، والفهم والردّ ؛ لأنّ اللغة تصبح عنده سليقة طبيعية . والجرجاني يُعطي مثالاً لهذه السليقة عند الأعرابي عندما سَمِعَ المؤذِّنُ يقول : (أشهدُ أنّ محمدًا رسولَ الله) بنصب (رسولَ) فيرى – الأعرابي – أنّ الكلام غير تام ما لم يرفع لفظة (رسول) ؛ لأنّها خبر (إنّ) مع أنّ الأعرابي يجهل المصطلح النحوي (الخبر) فعَلِمَ أنّ (رسول) خبر مرفوع للفظة (محمدًا) من دون أن يتعلّم ذلك[4] .

وعلّل ابن جني هذه السليقة بقوله : " إنّ العرب قد أرادت من العِلل والأغراض ما نسبناه إليها ، وحملناه عليها "[5] ، ويعني ذلك أنّ " الباحثين قد أدركوا بحسِّهم وأذواقهم سليقة العرب وعلل كلامهم في أنفسهم فكشفوا عنها ، وأبانوا عمّا تكنَّه أنفسهم من الأغراض والمقاصد "[6] .

وفي موضعٍ آخر يورد ابن جني ما حكاه الأخفش (ت215هـ) مع الأعرابي عندما سأله عن تصغير الحُبارى ، فقال : " حُبْرُور ، و[هذا] جواب من قصد الغرض ولم يحفل باللفظ ؛ إذ لم يُفهم غرض أبي الحسن ، فجاء بالحُبرور ؛ لأنّه فرخُ الحُبارى ، وذلك أنّ هذا الأعرابي تلقّى سؤال أبي الحسن بما هو الغرض عند الكافّة في مثله ،

---

(1) ينظر : جوانب من نظرية النحو : 27 – 28 .

(2) ينظر : المصدر نفسه : 28 .

(3) ينظر : تقويم الفكر النحوي عند المحدثين ، سلمان عباس عبد ، أطروحة دكتوراه : 156 .

(4) ينظر : دلائل الإعجاز : 419.

(5) الخصائص : 237/1 .

(6) الألسنية بين عبد القاهر والمحدثين : 18 .

ولم يحفل بصناعة الإعراب التي إنّما هي لفظية ، ولقومٍ مخصوصين من بين أهل الدنيا أجمعين "[1] . فابن اللغة – الأعرابي – عبَّر عمّا في نفسه من غير عناية باللفظ الذي هو مهمة الباحث .

وهنا يلتقي ابن جني مع تشومسكي في أنّ ابن اللغة له المعرفة بلغته بشكلٍ عام، أمّا المتخصص فمعرفته بلغته تكون بشكل خاص .

ويرى تشومسكي أنّ ابن اللغة ربّما يخطئ في بعض ما يقدّمه من آراء عن سليقته ، فهو يعرف لغته جيدًا ، لكنّه لا يستطيع أن يصفَ تلك المعرفة[2] .

فالسليقة لغةً هي : " الطبيعة والسجية ، وفلانٌ يقرأ بالسليقة وهي منسوبة ، أي : بالفصاحة ... هو يقرأ بالسليقة ، أي : بطبيعته ليس بتعليم ... وغلبت السليقة ، أي : اللغة التي يسترسل فيها المتكلم على سليقته ، أي : سجيته وطبيعته من غير تعمُّد إعرابٍ ولا تجنّب لحنٍ ، قال :

ولستُ بنحويٍّ يلوكُ لسانَهُ ولكن سَليقيّ أقولُ فأُعربُ

أي : أجري على طبيعتي ولا ألحنُ "[3] .

وعليه ، فإنّ السليقة من قول الأعرابي الذي ورد في لسان العرب تدلُّ على معانٍ كثيرة أهمّها : " إنّ السليقة تساوي الطبع والسجية ، والسليقة تَعني الفصاحة ، وتوليد اللغة طبعًا وسجيةً دون تعلّمٍ وتلقين ، والسليقة ترتبط بالبدوي في عصر الاحتجاج لا غير ؛ ولذا فإنّ هذا البدوي يُسمَحُ له أن يسير مع طبعه وسليقته التي لا يمكنه التخلي عنها ، متجاوزًا القراءة التي هي شبه مأثورة "[4] ، فالشاعر –

---

(1) الخصائص : 466/2 .

(2) ينظر : نظرية النحو العربي ، د. نهاد موسى : 52 – 59 ، والألسنية بين عبد القاهر والمحدثين : 19 .

(3) لسان العرب لابن منظور (سلق) : 2071/22 ، وينظر : مقاييس اللغة (سلق) : 96/3 ، والصحاح (سلق) : 1498/4 .

(4) النحو التوليدي والتحويلي وملامحه في مغني اللبيب : 40 .

الأعرابي– في البيت الذي أورده ابن منظور قد افتخر فيه بأنّه أعرابي يتكلّم بالسليقة التي قد انماز بها من النحوي الذي تعلّم بالصنعة والتكلُّف وإطالة النظر[1] .

وفي ضوء ما مرّ من أنّ السليقة عند العربي هي الطبع والسجية والفصاحة، أي: الطبع الذي جُبِلَ عليه في كلامه من حيث الفصاحة وعدم اللحن في الكلام والقول الذي يُسْمَعُ منه وهو في بيئته الفصيحة؛ ولذلك فإنّ الذي يُسمَعُ منه إنما هو الكلام المسموع الذي مبعثه السليقة وطبعه الفصيح ومن هنا يرى البحث أنّ ثمة مسوغاً في درج الكلام الذي يُقال عن السليقة أن يُراد به(السماع) نفسه اتساقاً مع هذا المنحى الذي مرَّ. بمعنى:إنّ كلام العربي الفصيح الذي يُطلق عليه (السماع) مبعثه من سليقته التي جُبِلَ عليها. فالسليقة إذن منطلق كلامهِ ومن هنا ساغَ إطلاق السليقة على(السماع) بسبب هذه الآصرة التي بينهما وهذا هو الذي أُريد الخلوصَ اليه وأقصدهُ في هذا الشأن.

إذ ذهبوا إلى البوادي لتسجيل ما سَمِعُوا عن العرب ، وميّزوا بين قبائل الفصاحة وقبائل اللحن من المفهوم البيئي ، فالذي يتكلم عن سليقة فصيحة فطرية ترجع إلى انتمائه إلى بيئة فصيحة[2] ، وهذا ما جعلهم يحددون القبائل التي يأخذون عنها ، والزمن الذي يأخذون منه وأطلقوا عليه (عصر الاحتجاج) ، وهنا يقترب مفهوم السليقة عند تشومسكي والنحاة العرب ، فالذي نطق دون تعلّم ولا تكلُّف إنّما نطق عن سجية ذهنية ، هو الذي ينطق بمقدرة تمكّنه من إنتاج جملٍ لا متناهية من قواعد محدودة كما يرى تشومسكي .

والمبرِّد هو أحد النحاة العرب الذين عَنَوا بالسليقة ، أو الفصاحة ،او السماع ، وقد بحث النحاة للوصل إلى هذه السليقة وكانت شواهدهم تعتمد على القرآن الكريم ، وهو مصدرٌ مهمٌّ من مصادر المبرِّد في المقتضب ، إذ تجاوزت شواهده القرآنية

(1) ينظر :النحو التوليدي والتحويلي وملامحه في مغني اللبيب: 41 .

(2) ينظر : مقالات في اللغة والأدب : 220/2 – 221 .

خمسمائة آية ، فالمقتضب أقدم ما وصل إلينا من كتب النحو بعد كتاب سيبويه الذي بلغت شواهده القرآنية ثلاثمائة وثلاثًا وسبعين آيةً[1] .

ومما لا شكَّ فيه أنّ القرآن الكريم أفصح كلام، وهو نزل بلغة العرب، وهم يقيسون عليه ما سمعوه عن العرب ، فما قِيْسَ عليه كان صحيحًا فصيحًا ، وما لم يصحّ قياسه عليه فهو شاذٌّ أو نادرٌ ، ولا يصحّ قياس الشاذ على القرآن الكريم .

فالشاهد القرآني والشعري دليلُ عناية المبرِّد بالسليقة في تحليل القواعد النحوية.

وكثيرًا ما استدلّ المبرِّد على الأحكام النحوية بتفرُّد الشاهد القرآني من دون اللجوء إلى الاستشهاد بالشعر ، وقد يستدلّ بالشاهد القرآني مع الشاهد الشعري .

ومن شواهد المقتضب كلام العرب المنظوم منه والمنثور ، إذ جاء بها في تثبيت قواعده النحوية ، فكثيرًا ما نجده يقول : ومن ذلك قول العرب[2] ، ومن كلام العرب[3] ، فالعرب تختار[4] ، وغيرها .

وحلّل تلك الشواهد وكشف أسرارها ؛ لفهم التراكيب ومنه ما استدلّ به من قوله تعالى : ﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ** ﴾[الأعراف : 193] ؛ ليُبيّن أنّ الجملة الاسمية (إذا هم يقنطون) في قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ** ﴾ [الروم : 36] في معنى جملة فعلية (يقنطوا) كما أنّ (أنتم صامتون) في موضع صَمَتُّم[5] . .

فالمبرِّد يبني أحكامًا نحوية على الشاهد ، سواءٌ أكان قرآنيًا أم شعريًا ، ومنه ما بناهُ على قوله تعالى : ﴿ **لَا فِيهَا غَوْلٌ** ﴾ [الصافات : 47] فقد ذكر أنّه لا يجوز أن

---

(1) ينظر : مقدمة المقتضب : 116/1 ، والتفكير النحوي عند المبرّد ، علي فاضل عبود ، اطروحة دكتوراه : 12 .

(2) ينظر : المقتضب : 76/3 .

(3) ينظر : المصدر نفسه : 177/2 ، 296 .

(4) ينظر : المصدر نفسه : 177/2 ، 191 ، 112/3 .

(5) ينظر : المصدر نفسه : 178/3 .

تجعل (لا) نافيةً للجنس ، إن فُصِلَ بينها وبين النكرة بفاصل في نحو : (لا في الدارِ رجلٌ) ، و (لا في بيتِكَ أحدٌ) ؛ لأنّ الاسم لا يفصل بين بعضه وبعض[1] .

وقد بنى حكمًا نحويًا على قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً ﴾ [البقرة : 282] برفع (حاضرةٌ)[2] وذلك في حديثه عن (كان) التامة التي لا تحتاج إلى خبر ، بقوله : " أنا أعرفُهُ مذْ كان زيدٌ ، أي : مُذْ خُلِقَ ، وتقول : قد كان الأمر ، أي : وقع "[3] .

ومن دليل عنايته بالسليقة شواهده الشعرية فقد بلغت : واحدًا وستين وخمسمائة[4] ، وقد يعود سبب كثرة الشاهد الشعري وتجاوز عدده على الشاهد القرآني في المقتضب إلى أنّ الشاهد القرآني يكفي الاستدلال به على حكمٍ نحوي ، على العكس من الشاهد الشعري الذي قد يحتاج إلى شاهدٍ آخر يُعَضِّدُهُ[5] .

وقد يتقدّم الشاهد الشعري على الشاهد القرآني ، ومنه استشهاده على النصب على نزع الخافض بقول الفرزدق[6] :

مِنَّا الذي اختِيرَ الرجالَ سماحةً وجودًا إذا هبَّ الرياحُ الزعازعُ

يريد : من الرجال ، وعضّد ذلك بشاهد قرآني ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾ [الأعراف : 155] إنّما هو – والله أعلم – من قومِهِ ، فبعد حذف حرف الإضافة – يريد حرف الجرّ – وصلَ الفعل فَعَمِلَ[7] .

---

(1) ينظر : المصدر نفسه : 361/4 ، والتفكير النحوي عند المبرد : 14 .

(2) قرأ عاصم (حاضرةً) بالنصب ، وقرأ الباقون برفعها ، ينظر : النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري : 237/2 .

(3) المقتضب : 95/4 .

(4) ينظر : مقدمة المصدر نفسه : 115/1 .

(5) ينظر : الشواهد القرآنية في النحو عند المبرد ، علي محمد يوسف المعموري ، رسالة ماجستير : : 86 ، والتفكير النحوي عند المبرد : 16 .

(6) ينظر : ديوانه : 360 .

(7) ينظر: المقتضب : 330/4 .

أو يأتي بالشاهد الشعري ثمّ يعطي شاهدًا من كلام العرب (الأمثال) ليُعضّدَ به الحكم النحوي ، فمن ذلك حديثه عن (عسى) ، إذ لا بدَّ لها من فاعل ، ولا يجوز مجيء المصدر بعدها ، كأن تقول : عسيتُ القيامَ ؛ لأنّ (القيام) مصدرٌ ، ولا دليل فيه يخصّ وقتًا من وقت ، لكن إن اختار شاعرٌ أن يضعَ الفعل موضع المصدر ، جاز له ذلك ؛ لأنّه دالٌ عليه[1] . وذلك كقول الشاعر[2] :

عسى الكَرْبُ الذي أمسيتَ فيه يكونُ وراءَهُ فرجٌ قريبُ

وعضَّد ذلك بالمثل : (عسى الغُويرُ أبْؤُسًا)[3] ، فإنّما تقديره : عسى الغوير أن يكون أبؤسًا ؛ لأنّ خبر (عسى) المصدر المؤول من (أنْ والفعل) ، أو قد يكون الفعل المجرّد ، فإن وُضِعَ الاسمُ موضعَ الفعل انتصبَ ؛ لأنّ (عسى) فعل ، أمّا اسمها فهو فاعلها ، وخبرها مفعولها ، كما لو أنّك تقول : كان زيدٌ ينطلقُ ، فإنّ موضعه النصب ، فلو قلت: منطلقًا ، لم يكن إلاّ نصبًا[4] .

إذن فالمبرّد قد اعتنى عنايةً كبيرة بالشواهد القرآنية والشعرية وكلام العرب المنثور ، لكنّ الشعر – كما ذكرنا – أخذ حيّزًا اكبر من استدلالاته ؛ لأنّ الشعر كما وصفه ابن فارس (ت395هـ) : " حجةٌ فيما أُشكل من غريب كتاب الله – جلَّ ثناؤهُ – وغريب حديث رسول الله ﷺ ، وحديث صحابته ، والتابعين "[5] ، ووضّح ابن فارس أهمية الشعر بقوله : " والشعر ديوان العرب ، وبهِ حُفظت الأنساب ، وعُرِفت المآثر ، ومنه تُعُلِّمَت اللغة "[6] .

---

(1) ينظر : المقتضب : 68/3 – 69 .

(2) البيت منسوب إلى (هدبة العذري) ، ينظر : العقد الفريد ، ابن عبد ربه : 372/5 .

(3) الغُوير : تصغير غارٍ ، والأبؤس : جمع بؤس وهو الشدة ، يُضرب للرجل يقال له : لعلّ الشرَّ الشرَّ جاء من قِبَلِكَ ، ينظر : مجمع الأمثال للميداني : 17/2 ، وخزانة الأدب (للبغدادي) : 328/9 .

(4) ينظر : المقتضب : 70/3 – 72 ، 77 .

(5) الصاحبي في فقه اللغة ، ابن فارس : 23 .

(6) المصدر نفسه .

واستدلال المبرِّد بالأمثال دليل عنايته بالسليقة من كلام العرب وتفسيره للأحكام النحوية ، فمن ذلك قول العرب : (لو ذاتُ سوارٍ لطمتْني)[1] ، يريد : لو لطمتني ذاتُ سوارٍ ، فهذا شاهدٌ على أنّ (لولا) أصلها (لو) و (لا) وقد جُعلتا شيئًا واحدًا ، وأُوقعتا على هذا المعنى ، فإنْ حذفت (لا) من (لولا) انقلب المعنى وصار الشيء في (لو) يجب ؛ لوقوع ما قبله ، وذلك قولك : لو جاءني زيدٌ لأعطيتُكَ ، فلولا في الأصل لا تقع إلاّ على اسم ، و (لو) لا تقع إلاّ على فعل ، فإنْ تقدّم الاسم بعد (لو) فإنّما يُفسّر رفعُهُ بفعلٍ مضمر دلَّ عليه المذكور ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾ [الإسراء : 100] ، فـ (أنتم) رُفع بفعل وفسَّره ما بعده[2] .

ومنه ذكرُهُ لـ (ما) التي تكون لذوات غير الآدميين ، ولنعوت الآدميين ، نحو قوله : ما عندك ؟ قلت : فرسٌ ، أو متاعٌ ، أو نحو ذلك ، ولا تقول : زيدٌ ولا عمرٌ ، أمّا في حال أن تقول : ما زيدٌ ؟ فيكون الجواب : طويلٌ أو عاقلٌ[3] .

وجاء بالشاهد من السليقة على ذلك ، قول العرب : سبحانَ ما سبَّح الرعدُ بحمدِهِ ، وسبحانَ ما سخَّرَكُنَّ لنا ، فقد وقعت الصفة موضع الموصوف ؛ لهذا جاز أن تقع (ما) على ما يَعقل[4] ، وعضَّد رأيَهُ بقوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾ [الشمس : 5]، فقد يكون معناها : ومَنْ بناها ؟ وقد يكون : والسماءِ وبنائها ، ومثله بلغني ما صنعت ، على تقدير : صنيعُكَ ؛ لأنّ إذا ما وُصِلت (ما) بالفعل ، كانت مصدرًا[5] .

أمّا لغات العرب الفصيحة التي حُدِّدتْ بالزمان والمكان فهي من السليقة أيضًا ، وقد اعتنى المبرِّد بلغتين معروفتين أساسيتين : إحداهما حجازية ، والأخرى تميمية ، فقد حازتا على مكانةٍ كبرى عند المبرِّد ، فمن ذلك حديثه عن (ما) الحجازية ، فذكر أنّ أهل الحجاز أعملوها عمل ليس ، كقولك : (ما زيدٌ قائمًا) و (ما هذا أخاك) ،

---

(1) معناه : لو ظلمني من كان كفؤًا لي لهان عليَّ ، ولكن ظلمني من هو دوني ، ينظر : مجمع الأمثال : 174/2 .

(2) ينظر : المقتضب : 77/3 ، والكتاب : 261/3 .

(3) ينظر : المقتضب : 295/2 .

(4) ينظر : المصدر نفسه : 295/2 .

(5) ينظر : المصدر نفسه .

فعملها عمل ليس ، ونفيها يكون للحال وما لم يقع[1] ، والشاهد على ذلك قوله تعالى : ﴿مَا هَذَا بَشَرًا ﴾ [يوسف : 31] فقد أجروها مجرى (ليس) .

أمّا بنو تميم فيقولون : " ما زيدٌ منطلقٌ ، يدعونها حرفًا على حالها بمنزلة (إنّما) إذا قلت : إنّما زيدٌ منطلقٌ "[2] ، فهي حرفٌ عند بني تميم لا عملَ لها .

ومما ذكرنا تتضح عناية المبرِّد بالسليقة ، فقد اعتمد كلام العرب كثيرًا وعوَّل عليه وبنى عليه قواعد نحوية ، وتفرّد بآراء نحوية واحتجَّ بها ، وكان لبصيرته اثرٌ جليٌّ في أقيسته في مواضع كثيرة منها قوله : " واعلم أنّ القياس وأكثر كلام العرب أن تقول : هذه أربعةَ عشرَك ، وخمسةَ عشرَك ، فتدعه مفتوحًا على قولك : هذه أربعةَ عشر ، وخمسةَ عشرَ "[3] .

وفي موضع آخر يقول : " أمّا الأقيس والأكثر في لغات جميع العرب فأن تقول في بيضة : بَيْضَات ، وفي جَوْزَة : جَوْزَات ، وفي لَوْزَة : لَوْزَات "[4] ، وجاء قوله هذا عند حديثه عن الجمع لما كانت الياء والواو منه في موضع العين[5] ، وذكر أنّ في ذلك خلافًا ، وببصيرته اختار الأقيس .

أمّا الحديث النبوي الشريف فكان الأقل ذكرًا في المقتضب بوصفه شاهدًا نحويًا ، وقد يعود السبب عنده إلى " أنّ الحديث لم يُروَ بألفاظه التي نطق بها الرسول ﷺ ، وإنّما أُجيزت الرواية بالمعنى ؛ ولذلك اختلفت العبارات التي تؤدي معنى الحديث الواحد ، وقد يكون بعضها بلفظ الرسول وبعضها بأكثر ألفاظه ، إلاّ أنّ الشكّ فيها جعلهم يبعدونها عن مجال الاستشهاد ، وإن جاؤوا بالحديث فإنّما يجيئون به ؛ لتقوية ما لديهم من شواهد قرآنية ، أو شعرية ، أو نثرية وردت عن القبائل العربية التي يحتجّون بلغاتها "[6] .

---

(1) ينظر : المقتضب : 188/4 .

(2) المصدر نفسه : 188/4 .

(3) المصدر نفسه : 177/2 .

(4) المصدر نفسه : 191/2 .

(5) ينظر : المصدر نفسه .

(6) الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه ، د. خديجة الحديثي : 61 – 62 .

وقد استشهد بالحديث النبوي في مواضع قليلة[1] ؛ ليستدلّ به على حكم نحوي، وصرّح بالحديث النبوي في موضع واحد[2] ، وهو قول الرسول ﷺ : (ليس في الخَضْروات صدقةٌ)[3] ، إذ استشهد به على أنّ (أحمر) إن جُعل اسمًا جمعته بالواو والنون ، فتقول : الأحمرون ، وإن جمعته جمعَ مؤنثٍ قلت : حَمْرَوات ، ومثله: صَفْرَوات ، فذهب بـ (خَضْروات) مذهب الاسم[4] .

(1) ينظر : المقتضب : 215/2 ، 205/3 ، 254/4 .

(2) ينظر : مقدمة المصدر نفسه : 94/1 .

(3) ينظر : مصنّف عبد الرزاق الصنعاني (كتاب الزكاة : باب الخُضَر) : رقم (7185) : 118/4 .

(4) ينظر : المقتضب : 215/2 .

ملامحُ الجملة الأصولية في المقتضب

ـ الجملة الأصولية

استنادًا إلى المعرفة الضمنية بقواعد اللغة فإنّ الإنسان عند استعمالها أو نطقها يستطيع أن يحكم على الجمل التي ينطقها من حيث إنّها توافق القواعد الكامنة في ذهنه أو لا توافقها ، وذلك من خلال معرفته المعجمية ، فالعلاقات بين الجمل من ناحية تجانسها أو تنافرها داخل التركيب ، هي التي تحدد الجملة النظامية من غير النظامية .

فالجملة المقبولة نحويًا هي جملة أصولية عند تشومسكي ، والجملة المرفوضة نحويًا هي جملة غير أصولية يميزها الإنسان استنادًا إلى ما يملكه من نظام معيّن عميق في ذهنه ، الذي به يستطيع أن يُميّز جملةً من أخرى[1] .

فالمتكلم يكون قادرًا على توليد جمل لغته من السليقة التي يمتلكها[2] ، وذلك من خلال " إعطاء أوصاف بنيوية لتلك الجمل مميّزًا إياها من الجمل غير الصحيحة صياغةً "[3] . يقول تشومسكي : " لا يمكن تشخيص مفهوم (القواعدية) بأنّه كلّ ما (له معنًى) أو كلّ ما (هو ذو معنًى) [على] وفق أيّ مفهوم دلالي "[4] ، ولذلك فإنّ تشومسكي يحدد الجملة الأصولية بالجملة الصحيحة ، وغير الأصولية هي الجملة غير الصحيحة[5] .

فالجملتان الإنجليزيتان :

- Colorless green ideas sleep furiously .

– الأفكار الخضراء التي لا لونَ لها تنام بشدّة .

---

(1) ينظر : النحو العربي والدرس الحديث : 116 .

(2) ينظر : جوانب من نظرية النحو : 7 .

(3) جوانب من نظرية النحو : 7 .

(4) البنى النحوية : 19 .

(5) ينظر :المصدر نفسه.

- Furiously sleep ideas green colorless .

– بشدّة تنام الخضراء التي لا لونَ لها الأفكار .

تظهر في الجملة الأولى الصفة النحوية لا الدلالية ، أمّا في الجملة الثانية فإنّها تفتقد إلى الصحة الدلالية ، فهي لا معنى لها ، وغير قواعدية[1] .

وتُعدُّ الجملة أصولية في لغةٍ معينة " إذا كانت مركبة على نحوٍ جيّد ، وهي غير أصولية إذا انحرفت عن المبادئ التي تحدِّد الأصولية في هذه اللغة أي القواعد الضمنية التي تقود عملية التكلم، والذي يُطبقها مُتكلّم اللغة بصورة لا شعورية "[2] .

فقواعد اللغة تولّد الجمل الأصولية فقط ، وتتيح إنتاج جمل اللغة الأصولية وتمنع الجمل غير الأصولية في الوقت نفسه من أن تتكوّن[3] ، فحديث تشومسكي في إطار مفهوم أصولية الجملة يدور في ابن اللغة ، فهو قادر على إنتاج جمل لا متناهية العدد ، وهو الذي يعرف ما يقع فيها من التباس دلالي ، وهو – ابن اللغة – القادر على أن يَحْكُم على هذا الالتباس إن وقع نحويًا أو دلاليًا[4] .

وقبول الجملة يختلف عن الصحة القواعدية ، يقول تشومسكي : " ولا يجب أن تختلط فكرة المقبول مع الصحيح قواعديًا grammatical فالقبول مفهوم يعود إلى دراسة الأداء ، بينما ... الصحة القواعدية grammatical ness إلى دراسة القابلية"[5] القابلية"[5] .

والصحة القواعدية تكون على درجات ، والمقبول أيضًا يكون على درجات لكنّهما لا يلتقيان ولا يتوافقان[6] ؛ لأنّ " الصحة القواعدية هي واحدة من عوامل عدّة

---

(1) ينظر : البنى النحوية : 19 .

(2) الألسنية (النظرية الألسنية) : 108 .

(3) ينظر : المصدر نفسه .

(4) ينظر :البنى النحوية:19.

(5) جوانب من نظرية النحو : 34 .

(6) ينظر : المصدر نفسه .

ABSTRACT

Studying Arabic language using the language of modernity means a social and scientific study that works on shedding light on the common scientific principles between the modern and traditional linguistics through description, analysis, and interpretation. A study like this may result in creating a linguistic plant that grows to give theoretical and applied linguistic fruits.

This research is entitled ((The Generative Transformative Theory and its features in Al-Moqtadhab book of Al-Mobarrid (Died 285)). The nature of this subject requires it to consist of a preface, two chapters and a conclusion that contains a number of results. The preface contains two parts, they are:

1- The first deals with Al-Mobarrid, and his scientific biography because he is one of the premier Arab Grammarian. He has his own big name among other Grammarians due to his big works that served Arabic language a lot.
2- The second part deals with the generative transformational theory which is considered the modest linguistic theory among the studies and writings of modern Grammarians and researchers. Its proximity to Arab Grammar thinking makes its high position.

Chapter one is entitled (The principles of the theory and its features in Al-Moqtadhab) it contains the most important points where the theory meets the book.

Chapter two comes under the title (the elements of transformation between theory and application) through which, the most important common transformation means between the Arabic grammar in Al-

Moqtadhab and Transformational Generative Grammar such as Rank (presentation and the delay), Increase (Caret), and Deletion (Abbreviation). The research reaches to a conclusion that contains the most important results of the study depending on the modern and traditional Arab Grammar resources in addition to the modest scientific linguistic results that has enriched the research.

Theses, dissertations and researches of the same concern have been taken into consideration in this research.

The research shows the effect of linguistic thinking in building new horizons of awareness concerning linguistic structures. It also shows the features of transformational method in the case of imposing text to interpretation because it contains two indications: meaning indication, that is a morale, mental one and a verbal surface indication from the point that language is a group of relations among vocalizationson one hand and the generative and transformational in the light of surface structure and deep structure on the other hand.

The study also stresseson the fact that language is a system of tags and attributes by which meaning is gained from the inside of the mind according to a technique of moving from the signifier to the signified. This means that the formation of the signifier represents imagining language proficiency.